رمضان وليلة القدر واطلاق المدافع في الأعياد والاحتفال بختم القرآن)[٧٠].

ومن جانب آخر فتكت الصراعات الداخلية بفلسطين التي اجتاحها الطاعون والقحط في القرن ١٥ فازدادت أحوال الأهلين بؤساً وضنكا، وتزامن ذلك مع صعود نفوذ العثمانيين الأتراك في آسيا الوسطى.

جدير بالذكر أن فلسطين في الأربعة قرون والنصف الأولى من العهد العربي الإسلامي قد شهدت تفاعلات سياسية - فكرية - ثقافية أصبحت معها (سمة العروبة وسمة الإسلام هما السمتين المميزتين للبلد وأهله... فقد وحدت الحضارة العربية الإسلامية أبناء فلسطين، وشخصية المجتمع الفلسطيني بشقية المسلم والمسيحي... أما العناصر اليهودية والسامرية فقد توزعت كفئة قليلة على المدن والتجمعات كأفراد مبعثرين دون أن تجمعهم أحياء سكنية خاصة لهم)[٧١].

تضاءلت أعداد اليهود إبان الحكم الفاطمي وما تلاه من حكم التركمان الناوكية وكانت حياتهم تعتمد على ممارسة التجارة وبعض الحرف، والمصادر العربية تخلو من أي ذكر لهم في العهد الأيوبي.

وما أن وطئت أقدام الفرنجة الغزاة أرض فلسطين في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي (أخذت البلاد تفقد هويتها العربية الإسلامية مدينة بعد أخرى وأخذت تحل محلها هوية أوروبية الوجه والزي واللسان... فبات المرء يسمع اللغات اللاتينية والفرنسية والألمانية والإيطالية بينما رحلت لغة الضاد من فضاء المدينة الفلسطينية كما رحل أهلها. إلا أن الريف الفلسطيني ظل يحمل الملامح العربية)[٧٢].

وفي وقت جرت فيه مذابح في بعض المدن الفلسطينية سيما القدس وقيسارية، هجر العرب معظم المدن أو استسلموا دون قتال. أما الأرياف فقد أبقاها الصليبيون على حالها إضافة لإقامة عدد من المستوطنات الزراعية والقلاع المحصنة. وقد (أحصي أكثرمن ٢٠٠ مستوطنة كهذه قدرها بعضهم بـ ٢٣٥ قرية شكلت ما نسبته ٢٠٪ من مجموع القرى الزراعية الفلسطينية في تلك الحقبة)[٧٣].

---

٧٠) د. بيان، مرجع سابق. ص١٢٨

٧١) د. عثامنة، مرجع سابق. ص١٩٣

٧٢) د. عثامنة، مرجع سابق. ص١٩٣

٧٣) د. عثامنة، مرجع سابق. ص١٩٨